أهم الإشارات التاريخية والحضارية المستخلصة من ترجمة المولى شيخ الإسلام شمس الدين محمد الفنارى (ت ٨٣٤هـ/ ١٤٣١م) فى ضوء كتاب الشقائق النعمانية لطاشكپرى زادة

أ.د/ سحر السيد عبد العزيز سالم(*)

ملخص

تعالج هذه الدراسة أهم الإشارات التاريخية والحضارية المستخلصه من خلال ترجمة المولى شيخ الإسلام شمس الدين محمد بن حمزه الفناري ، أول شيخ إسلام بالدولة العثمانية في رأي أغلب الدراسات التاريخية، في كتاب " الشقائق النعمانية " لطاشكپري زاده الذي يعد أول كتاب تراجم في هذه الدولة. ومن أهم هذه الإشارات ، أثر البصمة المملوكية المصرية في مسار الحركة الفكرية في بدايات الدولة العثمانية حيث وفد الكثير من علمائها ومن أهمهم شمس الفناري وحفيده أيضًا إلى مصر للتعلم والإجازة ، وأيضاً توضيح مدى اهتمام سلاطين المماليك ومن أهمهم المؤيد شيخ بالعلم والتصوف وحرصهم على استدعاء العلماء والصوفية مثلما حدث من استدعاء السلطان المؤيد للمولى شمس الدين الفناري . استخلصنا

(*) أستاذ التاريخ الإسلامي – كلية الآداب – جامعة الإسكندرية.

كذلك بعض الأخبار عن ملابس العبيد والجواري في الدولة العثمانية وأزيائهم للرأس والبدن وقارناها بما كان الحال عليه في مصر المملوكية والأندلس وعند الصفويين . استخلصنا أيضاً ما يتعلق بوسائل التعذيب والتنكيل لدى العثمانيين ومن بينها عقوبة سمل العينين التي لم يسلم منها كبار رجال الدولة والأمراء . كذلك تمكننا من استنتاج ما يتعلق ببروز ظاهرة الأسرات العلمية في الدولة العثمانية وعددناها . إلى جانب إشارات تتعلق بالمدارس العثمانية وايام العطلات وقيام الطلاب بنسخ الكتب خلالها ومن أهمها المصادر المملوكية

Abstract

The most important historical and cultural indications extracted through the biograghy of Mawla Sheikh Al Islam Shams- al Din Al-Fanari (d. 834 AH / 1431 CE) in the light of the book "Al – shaqaiq al Nu'maniyyah" by Tashkeprizadeh

This study deals with the most important historical and cultural indication extracted through the biograghy of Mawla Sheikh Al-Islam Shams – al Din, Muhammad ibn Hamza al-Fanari, the first sheikh of Islam in the Ottoman Empire in the opinion of most historical studies, in the book "Al-Shaqaiq al Nu'maniyyah" by Tashkepri zadeh, which is considered the first book of biograghies in this country. Among the most important indications and signs, is the strong impact of the Egyptian Mamluk footprint on the course of the intellectual movement in the beginnings of the Ottoman Empire, where many of its scholars, the most important of whom was Shams al-Fanari and his grandson, also came to Egypt to learn .

It also clarified the extent of the interest of the Mamluk sultans, the most important of whom was Al-Muayyad Sheikh,

in science and Sufism, and their eagerness to summon scholars and Sufis, as happened when the sultan Al-Muayad summoned Mawla Shams Al-Din Al-Fanari. We also extracted some news about the clothes of sufis and slaves men and woman in the Ottoman Empire.and their costumes for the head and body compared them with what was the case in Mamluk Egypt, Andalusia and the Safavids.

We also extracted what is related to the means of torture of the Ottomans, including the punishment of gouging out the eyes.

We were also able to conclude what is related to the emergence of the phenomenon of scientific families in the Ottoman Empire and we counted them . In addition we talked about holiday in Ottoman schools throught this biograghy and students who copied books during them, the most important of which are Mamluk sources.

تقديم

تعالج هذه الدراسة أهم الإشارات التاريخية والحضارية التى تمكننا من إستخلاصها من خلال ترجمة المولى شيخ الإسلام شمس الدين محمد بن حمزة الفنارى[١] التى أوردها طاشكپرى زادة فى كتابه "الشقائق النعمانية فى علماء الدولة العثمانية"[٢]. وقد وقع إختيارنا على شخصية المولى شمس الدين محمد الفنارى لأنه

---

(١) المولى: لها عدة معانى، فهى تطلق على السيد، وعلى المملوك، والعتيق، وعلى المنتسب إلى قبيلة، وتستخدم كلقب بمعنى السيادة أحياناً وبمعنى الإنتماء أحياناً أخرى، وعلى سبيل التواضع أيضاً. وإستُخدم هذا اللقب مضافاً إلى ياء النسب فكان يقال المولوى فى عصر دولتى السلاجقة والمماليك فى مصر. وقد أطلق هذا اللقب فى أواخر العصر المملوكى على أئمة الدين، وكذلك فى الدولة العثمانية منذ بداياتها. وجمع الكلمة (موالى) وكانت تدل وترمز إلى الزهاد والمتصوفين وفقهاء وعلماء الدين الإسلامى (حسن الباشا، الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار، الطبعة الأولى، ص **٥٢٠-٥٢٢**، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، إشراف وتقديم أكمل الدين إحسان أوغلو، ترجمة صالح سعداوى، إستانبول، **١٩٩٩**، المجلد الأول، ص **٢٨٧**).

أما شيخ الإسلام فى الدولة العثمانية فكانت له الكلمة الفاصلة فى القضايا الدينية والحقوقية، كما كانت القضايا الدنيوية تحتاج إلى فتواه، فى إعلان الحرب، وكذلك فى الإصلاحات والتغييرات الإدارية، كذلك كان من خلال فتواه، يقرر ما إذا كانت إنتفاضة ما، شرعية أم باطلة، وإذا ما كانت المطالبة بالعرش صحيحة أم غير شرعية. (أكرم كيدو، مؤسسة شيخ الإسلام فى الدولة العثمانية، رسالة دكتوراه نشرو ترجمة د. هاشم الأيوبى، طرابلس، لبنان، **١٩٩٢**، ص **٧، ٨**).

وعن المولى شيخ الإسلام شمس الدين الفنارى، راجع ما سوف يرد عنه فى الصفحات التالية من البحث وإرجع كذلك لمزيد من التفاصيل عن شيخ الإسلام إلى كتاب الدولة العثمانية – تاريخ وحضارة، المجلد الأول، ص **٣٠٢** وما يليها

Repp, The Mufti of Istanbul, Oxford, 1988.

(٢) عن طاشكپرى زادة، وأصله، وأسرته راجع ما سوف نذكره بهذا الشأن فى الصفحات التالية من البحث. ويحتوى كتابه الهام الشقائق النعمانية على نحو (**٢٢٢**) ترجمة مرتبة على عشر طبقات طبقاً لعهود السلاطين العثمانيين. وبوجه عام، فإن الدولة العثمانية تُتهم بقلة مدوناتها التاريخية، وتأخرها بفترة عن بدايات ظهورها كقوة سياسية فى المشرق الإسلامى،=

فى رأى أغلب مؤرخى الدولة العثمانية هو أول من تولى منصب "شيخ الإسلام" فيها، أما طاشكپرى زادة، فهو صاحب أول كتاب تراجم فى هذه الدولة.

ولن نتعرض للمادة العلمية الخاصة بمؤلفات شمس الفنارى التى وردت

=فالمدونات التاريخية وكتب التراجم والسير كانت قليلة جداً عند نشوء الدولة، ولم تظهر على السطح إلا بعد إحتكاك العثمانيين بالعرب والصفويين، سواء كان ذلك عن طريق الحروب أو التجارة أو الفتح، وذلك بلا شك قد أحدث تفاعلاً حضارياً فى مختلف الجوانب. وقد بدأ العثمانيون منذ عصر السلطان بايزيد الأول (٧٩٢-٨٠٥هـ/١٣٩٠-١٤٠٣م). بالإهتمام بكتابة تاريخهم وباللغة التركية طبقاً لتوجيهات السلطان بايزيد. وقد تركزت هذه المؤلفات على سير الحروب والفتوحات، أما الجوانب الحضارية الأخرى فلم تأخذ نصيبها فى هذا الشأن، وكانت هذه الكتب تسمى "غزانامة" أو "ظفرنامة". ومن أبرز مؤرخى أخبار الدولة العثمانية، الأوائل عاشق باشا زادة، الذى دون كتاب تاريخ، روى فيه تاريخ العثمانيين منذ البدايات الأسطورية للأسر الحاكمة، وتوقف فيه عند سنة ٨٦٩هـ/١٤٦٧م.

وكذلك طاشكپرى زادة، عصام الدين أبو الخير أحمد (ت ٩٦٨هـ/١٥٦٠م) مؤلف كتاب "الشقائق النعمانية فى علماء الدولة العثمانية" وهو أول كتاب من كتب التراجم فى هذه الدولة، ومن أهم المصادر ذات القيمة التاريخية أيضاً، وهناك النشانى، مصطفى بن جلال زادة (ت٩٧٥هـ/١٥٦٧م) وله كتاب "طبقات الممالك" ويسمى أيضاً "درجات المسالك فى طبقات الممالك" وهو مخطوط فى المتحف البريطانى تحت رقم/ Add ٧٨، ورمضان زاده، محمد التوقيعى (ت ٩٧٩هـ/١٥٧١م) وكتابه: تاريخ رمضان زادة، والديار بكرى، حسين بن محمد بن الحسن (ت ٩٩٠هـ/١٥٨٢م) وله كتاب "الخميس فى أحوال أنفس النفيس"، فى مجلدين، إشتهر بإسمه، وقد بدأه منذ الخليقة إلى جلوس السلطان مراد الثالث (ت ١٠٠٣هـ/١٥٩٤م)، وهناك أيضاً فريدون، أحمد باشا (ت٩٩٠هـ/١٥٨٢م) وله كتاب منشآت السلاطين، وقد عرف بمنشآت فريدون، و الجنابى، أبو محمد مصطفى بن حسن بن سنان (ت٩٩٩هـ/١٥٩٠م)، وله "العيلم الزاخر الفاتح: (لمزيد من التفاصيل عن الكتابة التاريخية عند العثمانيين وموضع طاشكپرى زادة منها إرجع إلى: رابعة مزهر شاكر، محمد عبد القادر خريسات، الكتابة التاريخية عند العثمانيين فى القرن العاشر الهجرى/ السادس عشر الميلادى، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والإجتماعية، المجلد ٤١، العدد ١، ٢٠١٤، ص ٧٣-٧٦).

فى هذه الترجمة، لأنها كانت مجالاً لدراسات[١] سابقة عديدة قيمة، وإنما سنهتم بإبراز أهم الإشارات التاريخية والحضارية الأخرى التى إستطعنا الإستدلال عليها من خلال هذه الترجمة القصيرة، والتى توضح كيف يمكن أن تكون "كتب التراجم" مصادراً مُعينة[٢] للمؤرخ، يستقى منها مادة علمية هامة، قد لا تَرِدْ فى كتب التاريخ، وأن كتب التراجم "إنما تعد من أهم مصادر علم التاريخ".

وفيما يتعلق بطاشكپرى زادة، وأصله، ومؤلفاته فهو أحمد بن مصطفى إبن خليل بن قاسم بن الحاج، المعروف بطاشكپرى زادة، الحنفى، البورساوى[٣]، وهو

---

(١) من ذلك على سبيل المثال إرجع إلى (فيما يتعلق بالمولى شمس الدين الفناري فقد تم تخصيص مؤتمر علمي عنه في مدينة بورصة التركية سنة ٢٠١٠ بعنوان International symposium on molla fanari وكان من بين أهم أبحاث هذا المؤتمر بحث الان جودلاس Alan Godlas الأستاذ بجامعة جورجيا الأمريكية بعنوان Molla fanari and the misbah Al uns the commentator and the perfect man وكان شمس الدين الفناري موضوعًا لرسالة دكتوراه في جامعة شيكاغو قدمها الباحث هالم كاليز Halm Calis بعنوان:

Akbari hermeneutics in Shams Al Din Al fanaris quran commentary on the chapter Al fatiha

وقد نوقشت هذه الرسالة عام ٢٠١٨ وإرجع كذلك عنه في كتابات طاشكپرى زادة إلي السعدنى، أبو وردة عبد الوهاب عطية، طاشكپرى زادة ومنهجه فى كتابه الشقائق النعمانية فى علماء الدولة العثمانية، جامعة قناة السويس، مركز البحوث والدراسات الأندنوسية، ٢٠١٧، ص ١٤٨، ٢١٩، حمدان، عمر يوسف عبد الغنى، العناية فى تحقيق الإستعارة بالكناية للمولى بطاشكپرى زادة تعريفاً وتحقيقاً، الناشر أكاديمية القاسمى، مجمع القاسمى للغة العربية وآدابها، مجلد سنة ٢٠١٩، العدد ١٤، ص ١٨٥-٢٠٤).

(٢) السيد عبد العزيز سالم، التاريخ والمؤرخون العرب، طبعة مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ٢٠١٢، الفصل الخاص بالمصادر المكتوبة.

(٣) نسبة إلى مدينة "بورصة" الحالية فى تركيا، التى ورد إسمها فى المصادر المملوكية على أنها "بُرصا". وقد زارها إبن بطوطة وأورد إسمها على هذا النحو فى كتابه "تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تعليق د. محمد السعيد محمد الزينى، طبعة المكتبة=

مؤلف كتاب "الشقائق النعمانية فى علماء الدولة العثمانية"، الذى يعد من أول وأهم كتب التراجم عن علماء هذه الدولة[١]. ويُعتبر هذا المفكر من أهم مفكريها. وُلِدَ فى مدينة "برصا" أو "بروسا" (بورصة الحالية)[٢] فى سنة **٩٠١هـ/١١٤٩م**، ونشأ فى

=التوفيقية، **٢٠٠٩**، ص **٢٨٠**، وما يليها) وإرجع أيضاً إلى إسمها هذا فى (المقريزى، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق د. سعيد عبد الفتاح عاشور، مطبعة دار الكتب، حـ**٤**، ق**١**، ص **١٧٩**، **٢٧٥**، إبن تغرى بردى، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، تحقيق د. محمد مصطفى زيادة، القاهرة، **١٩٧١**، حـ**٥**، ص **١١٦**) والنسبة إليها أيضاً "برصاوى" راجع ابن تغرى بردى، ص **٤٢٦** احداث سنة **٨٥٤**هـ).

وإرجع كذلك إلى (السخاوى، التبر المسبوك فى ذيل السلوك، مراجعة د. سعيد عاشور، القاهرة، **٢٠٠٥**، حـ**٣**، ص **١٩**، إبن إياس، بدائع الزهور فى وقائع الدهور، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، **١٩٨٣**، حـ**١**، ق**٢**، ص **٦٦٠**، **٦٦١**).

كما عرفت أيضاً هذه المدينة فى المصادر العثمانية بإسم "بروسا" و"بروسه" وهو الإسم الأقرب لإسمها القديم نسبة إلى الملك بروسياس Prusias ملك بيثينيا الذى أسسها على الكتف الشمالى لجبل أولمب فى منطقة مرمرة فى القرن الثانى قبل الميلاد. (القرمانى، أخبار الدول وآثار الأول فى التاريخ، دراسة وتحقيق د. أحمد حطيط، د. فهمى سعد، طبعة عالم الكتب، بيروت، **١٩٩٢**، المجلد الثالث، ص **٩**، **٢١**، حاجى خليفة، تاريخ ملوك آل عثمان، تحقيق وترجمة د. سيد محمد السيد، سوهاج، **٢٠٠٣**، حيث أورد المترجم اسم المدينة على أنه "بروسا" فى ص **١٣٦**، وإرجع كذلك إلى: لطفى باشا، تواريخ آل عثمان، ترجمة محمد عبد العاطى محمد، تقديم د. سيد محمد السيد، دار البشير، **٢٠١٨**، ص **١١٧**، **١٢٥**) وإرجع إلى بحثى "إطلالات تاريخية على مدينة برصا منذ الفتح العثمانى لها وحتى نهاية عصر السلطان سليم الأول (٧٢٦-٩٢٦هـ/١٣٢٦-١٥٢٠م) أحد بحوث كتابى "تغريدات تاريخية من العصر الإسلامى"، طبعة مؤسسة الفتح، الاسكندرية، **٢٠٢٢**، ص **٢٢٥-٣٤٠**).

(١) الدولة العثمانية، تاريخ وحضارة، إشراف وتقديم أكمل الدين إحسان أوغلى، حـ**٢**، ص **٦٦**.

(٢) وعن آثار مدينة "برصا" أو "بروسه" الإسلامية إرجع إلى:

Albert Gabriel, Une Capitale Turque, Brousse – Brusa, Paris, 1958, Vol. I, p. 209-220.

Suna Cagaptay, The First Capital of the Ottoman Empire, the=

أنكورية (أنقرة)، وتولى قضاء إستانبول فى سنة **٩٥٨**هـ/ **١٥٥١**م، وتوفى فى سنة **٩٦٨**هـ/ **١٥٦١**م.

نشأ طاشكپرى زادة فى أسرة علمية معروفة، فالجد الأعلى لمصطفى والده، قد أتى من بلاد الروم هرباً من جنكيز خان، وتوطن فى مدينة قسطمونى، وكان صاحب كرامات. وأنجب عدداً من الأبناء ممن عملوا بالعلم، منهم محمود الذى كان فقيهاً ومتخصصاً فى اللغة العربية، ولكنه لم يرتق إلى درجة الفضيلة، وأحمد العارف بالعربية والفقه والذى لم يبلغ أيضاً هذه الدرجة، والحاج صفا الذى كان بدوره فقيهاً، وعابداً صالحاً، ولكنه لم يكن له فضيلة زائدة، وقاسم الذى توفى شاباً فى طلب العلم، أما خليل جد طاشكپرى زادة، صاحب كتاب "الشقائق النعمانية"، فقد بلغ مرتبة الفضل، وقرأ فى بلاده مبانى العلوم، ثم إنتقل إلى برصا – بروسه، وقرأ على المولى يوسف بالى الفنارى، بمدرسة السلطانية، كما وصل إلى خدمة المولى الفاضل محمد الشهير ببيكان وعُرِفَ عنده، بالفضيلة التامة.

أما مصطفى والد طاشكپرى زادة، فقد اُشتهر بعلمى البلاغة، وكانت له معرفة تامة بالأصولين، والفقه والتفسير، والحديث، وقد وصفه ولده، أحمد "طاشكپرى زادة" بأنه كان "طاهر الظاهر والباطن متحرزاً عن اللغو وفضول الكلام، وكان يكثر الإعتكاف فى المسجد وتلاوة القرآن وصوم التطوع ونوافل الصلاة ... "[١].

=religious, architectural, and social history of Brusa, Bursa, 2020, p. 29-50.

وراجع الآراء المختلفة التى وردت فى دراستى عن مدينة برصا بعنوان "إطلالات تاريخية على مدينة برصا منذ الفتح العثمانى لها حتى نهاية عهد السلطان سليم الأول عن أهم الإتجاهات الفكرية بها ولا سيما فى مجال التصوف، ص **٢٢٥-٣٤٥**.

[١] طاشكپرى زادة، الشقائق النعمانية فى علماء الدولة العثمانية، دار الكتاب العربى، بيروت، **١٩٧٥**، ص **٧٢، ٧٣**.

ولم يبدأ علماء الدولة العثمانية فى وضْع كتب التراجم إلا بعد قيام هذه الدولة بنحو مائتى وخمسين عاماً[١]. وكان كتاب "الشقائق النعمانية فى علماء الدولة العثمانية" الذى ألفه طاشكپرى زادة، هو أولى ثمرات هذا النوع من المؤلفات. ونال هذاالكتاب إعجاب الناس، ولقى إستحساناً عظيماً بينهم، مما دفع نوعى زاده عطائى، إلى أن يضع له ذيلاً بالتركية أسماه "حدائق الحقائق فى تكملة الشقائق"، (١٥٦١-١٦٣٤م) ثم تبعه عشاقى زاده إبراهيم حسيب إفندى، فوضع ذيلاً عليه أسماه "عشاقى زاده ذيلى"، غير أن شيخى محمد إفندى (ت ١٧٣٢م) لم يرضْ بهذا الذيل، فكتب هو ذيلاً أسماه "وقايع الفضلا" بدأ فيه من حيث إنتهى عطائى. ثم جاء من بعده فندقليلى عصمت إفندى (ت ١٩٠٤م)، وكتب ذيلاً آخر أسماه "حدائق الشقائق فى تكملة أهل الحقائق".

قسم طاشكپرى زادة كتابه إلى أقسام[٢] بحسب السلاطين وحذا حذوه كل من أتى بعده من كتّاب التراجم، فإعتُبرت فترة حكم كل سلطان بمثابة طبقة من الطبقات، وبدأ كل طبقة بالعلماء، ثم أعقبهم بالمشايخ (مشايخ الطرق). وإعتمدت هذه الكتب فى مادتها على السجلات الرسمية مثل روزنامات قضاة العسكر، وسجلات الأرشيف الأخرى، كما إعتمدت على الروايات الشفوية. تولى طاشكپرى زاده منصب قاضى عسكر الروملى.

وكان طاشكپرى زادة. من أبرز العلماء الأتراك الذين عُرِفوا بتأصل اللغة العربية لديهم[٣].

وقد عُرِف أيضاً بذلك كل كمال باشا زادة (إبن كمال) (٨٧٣هـ-٩٤٠هـ/ ١٤٦٨-١٥٣٤م) والمؤرخ أحمد بن سنان الرومى (٩٣٩-١٠١٩هـ/١٥٣٢-

(١) الدولة العثمانية، تاريخ وحضارة، حـ١، ص ٢٧٩.
(٢) المرجع السابق، حـ١، ص ٢٧٩، ٢٨٠.
(٣) نفسه، حـ٢، ص ٣٠٨.

١٦١٠م)، وحاجى خليفة (مصطفى بن عبد الله) (١٠١٧-١٠٦٧هـ/١٦٠٩-١٦٥٧م)، ومنجم باشى (أحمد بن عيسى) المتوفى سنة ١١١٣هـ/١٧٠٢م وغيرهم[١].

وألّف طاشكپرى زادة مؤلفات عديدة أيضاً منها، كتاباً فى تصنيف العلوم بإسم "مفتاح السعادة ومصباح[٢] السيادة"، الذى طبع فى ثلاثة أجزاء عام ١٩٩٥ فى بيروت، ويبحث فى فضيلة العلم والتعليم والعلوم الشرعية والعادات والتقاليد، وكتاب "نوادر الأخبار فى مناقب الأخيار" ورسالة "الشفاء لأدوار الوباء" وكتاب شرح المقدمة الجزرية، كما كانت له بعض الأشعار فى موضوعات شتى، منها حسرته على ما أصابه من فقدان للبصر فى أخريات العمر.

وفيما يتعلق بترجمة شمس الدين محمد بن حمزة الفنارى فى ضوء كتاب الشقائق النعمانية (٧٥١-٨٣٤هـ/١٣٥١-١٤٣١م) فهو أحد أبرز علماء العثمانيين الذى ينتمى إلى الطبقة الرابعة طبقاً لما أورده طاشكپرى زادة وهى الطبقة التى تتزامن مع عهد السلطان بايزيد خان يلدريم (الصاعقة) (٧٩٢-٨٠٥هـ/١٣٩٠-١٤٠٣م) إبن السلطان مراد الأول الغازى (٧٦١-٧٩٢هـ/١٣٦١-١٣٩٠م) وهى من أوفى التراجم التى قُدمت عن هذا العلامّه رغم قصرها، وأكد طاشكپرى زاده أن الفنارى قد تولى منصب شيخ الإسلام لأول مرة فى هذه الدولة بعد قيامها، بنحو مائة وخمسة وعشرين عاماً فى سنة ٨٢٨هـ/١٤٢٥م عندما عُين مفتياً زمن السلطان مراد الثانى (٨٢٤-٨٥٥هـ/٤٢١-١٤٥١م) على سائر أنحاء الدولة.

ويُعد منصب شيخ الإسلام هو أحد منصبين هامين من مناصب الهيئة العلمية فى الدولة، وقد ظهرت مشيخة الإسلام فى بادئ الأمر بشكل متواضع، ثم

---

(١) نفسه، حـ٢، ص ٣٠٨، ٣٠٩.

(٢) نفسه، حـ٢، ص ٦٥٠.

ما لبثت أن حظيت بالتقدير والإحترام حتى إزدادت أهميتها فى القرن العاشر الهجرى/ السادس عشر الميلادى.

وكانت صلاحيات شيوخ الإسلام فى بادئ الأمر محصورة فى تعيين المفتيين فقط، ثم أصبحوا ذوى صلاحية فى إدارة كافة مناصب التدريس والقضاء العالية. وأصبحت لشيخ الإسلام مكانة سياسية أيضاً مرموقة، فكان يحتل المرتبة الثانية بعد الصدر الأعظم[١].

ويعتبر هذا الرأى الذى أورده طاشكپرى زادة بخصوص كوْن شمس الدين محمد الفنارى هو أول شيوخ الإسلام فى الدولة العثمانية، هو الرأى المتفق عليه بين أغلب الباحثين والمأخوذ به، وإن كانت هناك قلة من المؤرخين من ترى أن منصب المفتى الأكبر والأول قد يكون قد نشأ قبل عهد مراد الثانى[٢].

وقد إعتمد طاشكپرى زادة فى ترجمته للمولى شيخ الإسلام شمس الدين الفنارى وهو الذى يفصل بينه وبين هذا العلاّمة أكثر من مائة وثلاثين عاماً من الزمان، على عدد من المصادر المملوكية المصرية، فقد إستشهد بما أوردهُ كل من ابن حجر العسقلانى (ت٨٥٢هـ/١٤٤٢م) والسيوطى (ت٩١١هـ/١٥٠٥م) بخصوص شمس الدين محمد الفنارى[٣]، الذى كان قد قصد القاهرة، وسمع على علمائها زمن السلطان المملوكى المؤيد شيخ (٨١٥-٨٢٤هـ/١٤١٢-١٤٢١م)، ومن ذلك نستشف إشارة تاريخية هامة وهى مكانة مصر ودورها وبصمتها فى تشكيل الوعى الثقافى والفكرى لعلماء الدولة العثمانية إلى حد كبير، ومن بينهم أول شيخ من شيوخ الإسلام بها وهو شمس الدين الفنارى الذى كان قد إهتم بقصدها

---

(١) نفسه، حـ١، ص ٣٠٢، ٣٠٣.

(٢) لمزيد من التفاصيل ارجع إلى (أكرم كيدو، مؤسسة شيخ الإسلام فى الدولة العثمانية الأيوبى، ص ٢٧ وما يليها).

(٣) طاشكپرى زاده، الشقائق النعمانية، ص ١٧ وما يليها.

للسماع على علمائها، ولم يكن شمس الفنارى وحده، هو الدليل على هذا الدور الفكرى الذى لعبته مصر فى مسار الحركة العلمية فى الدولة العثمانية، فإن كتب التراجم العثمانية قبل المملوكية، تشهد بمكانة العلاّمة شهاب الدين أحمد بن اسماعيل بن عثمان الكورانى الشافعى ثم الحنفى، مفتى الدولة العثمانية المتوفى سنة **٨٩٣**هـ وهو الذى كان قدم إلى القاهرة من بلاده وأجازه إبن حجر العسقلانى، ومنها إنتقل إلى الدولة العثمانية، حيث تولى التدريس فى برصا – بروسه، ثم عينه السلطان مراد الثانى مدرساً لولده محمد، فأحسن تأديبه وساهم فى تشكيل ميوله الفكرية، كما عرض عليه السلطان، الوزارة فرفض، فجعله قاضياً للعسكر، ثم قاضياً فى برصا – بروسه، وعندما عُزل الكورانى عاد للقاهرة فأكرمه السلطان المملوكى قايتباى (**٨٧٢-٩٠١**هـ/**١٤٦٨-١٤٩٦**م) حتى إستدعاه تلميذه السلطان العثمانى محمد الفاتح (**٨٥٥-٨٨٦**هـ/ **١٤٥١-١٤٨١**م) فعاد إلى قضاء برصا – بروسه، وفُوضت إليه كل أمور الفتوى، وقد ترجم له طاشكپرى زاده أيضاً فى اشارة هامة إلى هذا الدور المصرى الفكرى. كما أشار طاشكپرى زادة إلى كل من العالم المولى أحمدى والفاضل حاجى باشا اللذين اصطحبا المولى الفنارى فى رحلته إلى القاهرة[١].

وكان الدكتور محمد أنس سارمينى Sarmini المحاضر بجامعة إستانبول قد أفرد دراسة قيمة، إشترك فى إعدادها مع الدكتور محمد صديق Siddik المحاضر بجامعة أربكان بعنوان "إتجاهات مدارس التفسير العثمانية فى مقاربة السنة وعلوم الرواية – البورصوى ت **١١٢٧**هـ والكورانى ت **٨٩٣**هـ-أنموذجاً".

---

[١] عن الكورانى ودوره فى الدولة العثمانية، راجع المصدر السابق، ص **٥١، ٥٢**، وحاجى خليفة، الأعلام العثمانيون، مختارات من كتاب سلم الوصول إلى طبقات الفحول، تحرير وإعداد، د. أحمد عبد الوهاب الشرقاوى، **٢٠١٩**، ص **٨٥**. وعن المولى أحمدى وحاجى باشا ومصاحبتهما المولى الفنارى إلى القاهرة إرجع إلى: طاشكپرى زادة، الشقائق، ص **٣٢**.

وقد نشرت هذه الدراسة عام ٢٠٢٠م، وأوضحت مدى تأثر الكورانى الذى يرجع بأصوله إلى كوران من أعمال تبريز فى إيران، بعلماء مصر، وأكدت أنه نقل كل ما تعلمه هناك إلى الدولة العثمانية، حيث عمل معلماً للسلطان محمد الفاتح فى صباه[١]. كما سبق أن اشرنا.

ونستنتج من رجوع طاشكپرى زادة خلال ترجمته لشمس الدين الفنارى إلى كل من إبن حجر العسقلانى والسيوطى، مدى تقديره للحركة العلمية فى مصر، ونستشف أيضاً تداول مفكرى العثمانيين المؤلفات المصرية المملوكية، والإعتماد عليها، والإحتذاء بها فى أوائل كتاباتهم فى مجال التأريخ والتراجم رغم الفارق الزمنى بين وفاة كل من إبن حجر والسيوطى، ووفاة طاشكپرى زادة التى تتراوح ما بين نصف القرن إلى القرن، وفى هذا ما يؤكد أيضاً على أهمية الأثر المصرى فى دفع الحركة التأريخية قدماً إلى الأمام لدى مفكرى العثمانيين، وتظهر دلائل هذا الإستنتاج فى الإشارات المتعددة لطاشكپرى زادة فى كتابه الشقائق النعمانية، إلى الأثر المصرى فى الفكر العثمانى، من ذلك إشارته إلى المساجلات العلمية بين العالم يعقوب الأصغر القرمانى، وهو من العلماء المستوطنين فى برصا – بروسا وبين علماء مصر زمن السلطان محمد الفاتح[٢].

ولم تكن المساجلات العلمية بين علماء مصر والعلماء بالدولة العثمانية، هى وحدها التى توضح هذا الأثر والدور المصرى فى الحياة الفكرية العثمانية، وإنما قد أشار طاشكپرى زادة فى موضع آخر من كتابه أيضاً، إلى بعض العلماء الذين حرصوا على زيارة مصر لسماع علمائها مثل الشيخ العارف بالله عبد الرحمن بن على بن أحمد البسطامى، الذى كان عالماً بالتفسير والفقه وزار مصر وأقام بها فترة، ثم إنتقل إلى برصا – بروسا بالدولة العثمانية زمن السلطان بايزيد الأول يلدريم، أى

---

[١] محمد أنس سارمينى المرجع السابق، ص ٤٦١-٤٩٩.

[٢] بطاشكپرى زادة، الشقائق النعمانية، ص ٣٩.

فى نفس الفترة الزمنية التى عاش فيها المولى شمس الدين الفنارى[١].

كذلك أشار طاشكپرى زاده إلى حسن جلبى بن محمد شاه الفنارى حفيد شيخ الإسلام شمس الدين الفنارى، الذى دخل إلى مصر، وقرأ فيها صحيح البخارى على بعض تلاميذ إبن حجر، وحصل على إجازة فى رواية الحديث[٢]، فقد كان قد خُصص للأروام بالأزهر رواقاً عرف بإسمهم "رواق الأروام" وممن وُصف بأنه كان نزيلاً له "المنلا" أو "المولى" برادر الرومى الذى كان فصيحاً بالتركية والعربية والفارسية، كما سافر العالم أحمد السهروردى المصرى إلى بلاد الروم ثم عاد إلى مصر وتوفى بها سنة **٩٣٠**هـ.

ومن الإشارات التاريخية الهامة أيضاً التى نستشفها من سيرة المولى شيخ الإسلام شمس الدين الفنارى، التى أوردها طاشكپرى زادة فى كتابه الشقائق النعمانية، والتى تتعلق بتاريخ مصر المملوكية، ذلك الخبر الذى أورده بخصوص السلطان المملوكى المؤيد شيخ (**٨١٥** – **٨٢٤**هـ/**١٤١٢**-**١٤٢١**م)، حيث يؤكد طاشكپرى زادة نقلاً عن إبن حجر العسقلانى، أن السلطان المؤيد قد طلب بنفسه حضور المولى شمس الدين الفنارى الذى كان قد أتم الحج فى سنة **٨٢٢**هـ، وهو فى ذلك يقول "وحج سنة اثنتين وعشرين فلما رجع طلبه المؤيد، فدخل القاهرة وإجتمع بفضلائها ثم رجع إلى القدس فزار ثم رجع إلى بلاده .."[٣]. ومن هذا الخبر نستخلص أكثر من إشارة تاريخية منها أن السلطان المملوكى المؤيد شيخ، كان رجلاً يميل إلى أهل الفضيلة والعلم، وخاصة لو كانوا من علماء التصوف، فقد عُرف عن المؤيد ميله إلى تنشيط الحركة الصوفية والعلمية، فجدد الجامع الأزهر

---

[١] المصدر السابق، ص **٣١**.

[٢] نفسه، ص **١١٤**، وعن الشيخ أحمد السهروردى المصرى نزيل بلاد الروم والمنلا برادر الرومى نزيل رواق الأروام بالأزهر إرجع إلى الغزى، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، بيروت، **١٩٩٧**، حـ١، **١٥٨**، **١٦٦**.

[٣] طاشكپرى زادة، ص **١٧**.

وبنى الجامع المؤيدى على أنقاض سجن شمايل وجدد المدرسة الخروبية بالجيزة، وأنشأ مدرسة برأس الصوة مكان المدرسة الأشرفية، وكان كثير التوجه إلى رباط الاثار النبوية[١].

وتضيف سيرة شمس الدين الفنارى التى أوردها طاشكپرى زادة فى كتابه الشقائق دليلاً جديداً هنا، على إتجاهات السلطان المؤيد نحو تشجيع العلم والتصوف، فشمس الدين الفنارى كما ورد فى ترجمته وسيرته تلك، كان صوفياً نشأ فى بيئة مليئة بالزهد. وقد علا شأن الصوفية فى الدولة العثمانية منذ نشأتها، وإقترن قيامها بهم عندما تصاهر عثمان غازى مؤسس الدولة، بالشيخ الصوفى إده بالى بزواجه من إبنته، كما صاحب المتصوفون، قوات الدولة العثمانية منذ بدايات فتوحاتها، وساهموا فى تهجير الأتراك إلى المدن البيزنطية المفتوحة مثل برصا وأدرنة وإزنيق، وأيضاً فى البلقان (الروم ايلى – الروملى). كما تولى هؤلاء المتصوفين كما أشرنا فى دراسات سابقة لنا، أعلى المناصب فى الدولة العثمانية[٢].

ومن دلائل ميول المولى شمس الدين الفنارى الصوفية التى ذكرها طاشكپرى أنه كان يرتدى أبسط الثياب، ويضع على رأسه عمامة صغيرة "على زى مشايخ الصوفية" وكان يتعلل فى ذلك ويقول "إن ثيابى وطعامى من كسب يدى

---

(١) عن تجديد السلطان المؤيد شيخ للجامع الأزهر، إرجع إلى المقريزى، السلوك، حـ٤، ق١، ص ٣٢٤، وعن تجديد المدرسة الخروبية بالجيزة، ومدرسة برأس الصوة مكان المدرسة الأشرفية إرجع إلى: إبن تغرى بردى، النجوم، حـ١٤، صـ١١٣، إبن إياس، بدائع الزهور، ص ٦٢.

وعن زيارة السلطان لرباط الآثار النبوية إرجع إلى: ابن تغرى بردى، النجوم، حـ١٤، ص ١٠١.

وعن بنائه مسجده الجامع فى موضع سجن شمايل إلى: المقريزى، السلوك، حـ٤، ق١، ص ٣٢٠، ٣٤٧.

(٢) لمزيد من التفاصيل راجع: (سحر سالم، إطلالات تاريخية على مدينة برصا، ص ٢٩١ وما يليها والقسم الخاص بالحياة الفكرية والتصوف).

ولا يفى كسبى بأكثر من ذلك"[١]. ولعل إهتمام المؤيد شيخ، بالعلماء وأهل التصوف ليرد عنه كثير من الإتهامات، التى وجهت لشخصه فى بعض الكتابات التاريخية قديماً وحديثاً[٢].

كذلك نستنتج من هذا الخبر الذى يتعلق بطلب السلطان المؤيد حضور المولى شمس الفنارى إلى حضرته، متانة العلاقة السياسية آنذاك بين دولة المماليك فى مصر والشام، والعثمانيين فى بداياتهم، وهى التى ستتوتر فيما تلا ذلك من عهود، لتنتهى بإحتلال السلطان سليم الأول لمصر، وقضائه على الدولة المملوكية بأسرها.

وفيما يتعلق ببعض الإشارات الحضارية، التى نستنتجها مما ورد فى ترجمة وسيرة المولى شمس الدين الفنارى فى الشقائق، ذلك الخبر الذى يصف ملابس العبيد والجوارى الذين كان يمتلكهم المولى الفنارى فقد ذكر طاشكپرى زادة أن العبيد كانوا "يلبسون الثياب الفاخرة، والفراء النفيسة، ..." [٣] أما الجوارى فكن

---

[١] طاشكپرى زادة، نفسه، ص ١٩.

[٢] أثار عهد السلطان المؤيد شيخ المحمودى، ولا يزال، جدلاً ونقاشاً طويلاً، ما بين مؤيد ومعارض، وإنقسم المؤرخون منذ عصره وحتى الآن إلى فريقين، فريق يراه حاكماً ظالماً غشوماً، فى حين يرى أنصار الفريق الآخر أنه كان مصلحاً. ويأتى على رأس الفريق الأول، المعارض للسلطان المؤيد شيخ، المؤرخ المملوكى المقريزى من العصر الوسيط، والأستاذة الدكتورة حياة ناصر الحجى فى دراستها القيمة عن الأوضاع السياسية والإقتصادية زمن المؤيد شيخ (راجع المقريزى، السلوك، حـ٤، ق١، ص ٢٨٠، ٣٠٦، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٤، ٣٧٢، وراجع كل ما ورد فى بحث الدكتورة حياة الحجى، الأوضاع السياسية والإقتصادية فى حكم المؤيد شيخ فى سلطنة المماليك ٨١٥-٨٢٣هـ/١٤١٢-١٤٢٠م، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، ١٩٨٩، ص ٢٧، ٣٢، ٣٤-٤٥.
وعن الآراء التاريخية المؤيدة ولمزيد من التفاصيل راجع (سحر سالم، من جديد جول جهود السلطان المملوكى المؤيد شيخ المحمودى فى الحفاظ على أمن الدولة المملوكية – ٨١٥ – ٨٢٤هـ/١٤١٢-١٤٢١م، أحد بحوث كتاب تغريدات تاريخية من العصر الإسلامى، الإسكندرية، ٢٠٢٢).

[٣] طاشكپرى زادة، الشقائق، ص ١٨.

"لا يحصين كثرة أربعون منهن، يلبسن القلانس الذهبية ..."[١].

ومن هذا الخبر نستنتج أن بيوت العلماء والمتصوفين فى الدولة العثمانية، كانت تعج بالعبيد ولا سيما الجوارى، اللاتى كن لا يمكن حصر أعدادهن من كثرتها، وأن هؤلاء العبيد والجوارى كانوا يلقون معاملة طيبة، ويحيون حياة رغدة، فيلبسون أفخم الثياب ويأكلون أفضل الأطعمة. ولعل هذا النص يؤكد الأخبار التاريخية التى تشير إلى إمتلاء البلاطات والقصور والدور العثمانية، بالرقيق، وأن أسواق العثمانيين كانت أسواقاً عالمية للنخاسة، ولا سيما فى مدينة برصا – بروسه" التى كانت من أشهر أسواق هذه التجارة، فقد كان بالأناضول ومدنه منذ العصر السلجوقى. وإستمراراً فى العصر العثمانى، مراكزاً دولية لتجارة العبيد، وذلك لتدفق آلاف الأسرى والعبيد من القفجاق وجورجيا وأرمينيا، واليونان.

وكانت الحرب هى أهم مصادر الحصول عليهم[٢]. وقد أشرنا فى دراسة سابقة لنا عن تاريخ مدينة برصا – بروسه إلى أوضاع العبيد والرقيق فيها فى بدايات الدولة العثمانية[٣].

كذلك نستنتج بعض الإشارات الهامة من هذا الخبر، الذى أورده طاشكپرى زاده عن عبيد وجوارى المولى الفنارى فيما يختص بألبستهم سواء كانت ملابس الرأس أو البدن، فقد أشار هذا النص إلى إرتداء العبيد للفراء النفيسة، أما الجوارى

---

(١) المصدر السابق، ص ١٨.

(٢) لمزيد من التفاصيل عن تجارة الرقيق فى الدولة العثمانية منذ نشأتها، وتركّزُ هذه التجارة فى مدينة برصا، راجع بحث

Osman Çetin, Slavery and conservation of the slaves to Islam in the Ottoman society according to the Canoncial Registers of Bursa between XVth and XVIIIth centuries, Uludag Universitresi, Il Alhiyat Fakultesi, 2001).

(٣) سحر سالم، إطلالات تاريخية، القسم الخاص بالحياة الإجتماعية.

فقد لبسن القلانس الذهبية.

ولعل هذه الملابس تتشابه إلى حد كبير مع ملابس أهل الأندلس التى تأثرت بتأثيرات مشرقية، خاصة فيما يتعلق بالفراء الذى إرتداه عبيد المولى الفنارى. فقد كان زرياب قد نظم لأهل الأندلس فى القرن الثالث الهجرى/ التاسع الميلادى أنواع الثياب التى تليق بكل فصل من فصول السنة. ففى الربيع، رأى أن يلبسوا أجباب الخز والملحم والمحرر والدراديع التى لا بطائن لها[١]، وفى الشتاء كانوا يلبسون جباب الصوف وفراء الفنك وفى الصيف[٢] جبب الديباج. وفى مصر المملوكية كانت تتخذ الشهور القبطية، مواعيداً للسلطان والرعية لتبديل الملابس الصيفية بالشتوية الصوفية والعكس. كما كان الأمراء المماليك يلبسون السمور وفراء السنجاب[*].

أما القلانس وهى ما يغطى الرأس من الوشى أو الخز أو الصوف أو الفراء التى لبستها جوارى المولى الفنارى، فقد كانت من أهم ألبسة الرأس عند الرجال فى

---

(١) المقرى، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، نشر وتحقيق محى الدين عبد الحميد، القاهرة، **١٩٤٩**، حـ٤، ص **١٢٤٥**، سحر سالم، ملابس الرجال فى الأندلس فى العصر الإسلامى، مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية فى مدريد، عدد خاص، المجلد السابع والعشرون، مدريد، **١٩٩٥**، ص **١٧٦**.

(٢) إبن حيان، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، القسم الخاص بعهد الحكم المستنصر بالله، تحقيق د. عبد الرحمن الحجى، بيروت، **١٩٦٥**، ص **١٢٦**، سحر سالم، ملابس الرجال، ص **١٧٦**. وعن إستخدام الشهور القبطية فى مصر مواعيداً لتغيير الملابس الصوفية الشتوية بالبياض والملابس الصيفية والعكس إرجع إلى: إبن إياس، بدائع الزهور يف وقائع الدهور، تحقيق د. محمد مصطفى، القاهرة، **١٩٨٤**، جـ٤، ص **١٣٩**، **٣٠٥**، **٣٣٩**.

* إبن حجر العسقلانى، إنباء الغمر بأنباء العمر، تحقيق د. حسن حبشى، **١٩٦٩**، حـ١، ص **١٦**. ومن أمثلة ذلك إرتداء الأمير تمر بغا الظاهرى السمور، وكذلك السلطان خشقدم (إبن تغرى بردى، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، تحقيق د. جمال الدين الشيال والأستاذ فهيم محمد شلتوت: الهيئة المصرية العامة للكتاب، **١٩٧٢**، حـ١٦، ص **٢٨٠**، ص**٣٠٧**).

المشرق والأندلس، وقال الإمام على بن أبى طالب "تمام جمال المرأة فى خفها وتمام جمال الرجل فى كمته (أى قلنسوته)" [١]. وقد شاع استخدام الرجال القلانس فى الأندلس بدءاً من عصر الدولة الأموية[٢]. وقد لبسها بعض القضاة المفتيين[٣] وإن كان القضاة من أهل الأندلس بوجه عام قد فضلوا العمائم. كما لبسها أهل مصر فى العصر العباسى الأول سواء كانوا من الفقهاء أو الأشراف أو أهل البيوتات[٤].

وقد إستخدمت سيدات الأندلس الغفائر (جمع غفارة)، وهى فى الأصل خرقة وضعتها المرأة على رأسها[٥] حماية للخمار من زيوت الرأس ولكنها كانت فى الأندلس، طاقية تطوق الرأس تشبه القلنسوة، وقد تتخذ رداء خارجياً أشبه بالمعطف[٦].

وتذكر إحدى الدراسات الحديثة القيمة[٧] أن القلنسوة لم يذكرها أى رحالة أوروبى قُدّر له أن يزور المشرق، وأنها كلمة أو مصطلح فنى يدل على الطاقية أو الكلوتية التى توضع على الرأس تحت العمامة. وهى لباس من ألبسة الرأس

---

[١] الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون، القاهرة، ١٩٦٨، حـ٣، ص ٩٦، سحر سالم، ملابس الرجال، ص ١٦٧.

[2] Dozy, Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les Arabes, Amestredam, 1845, p. 371

[٣] إبن بسام، الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة، تحقيق د. إحسان عباس، القسم الأول، المجلد الثانى، بيروت، ١٩٧٨، ص ٩١١، سحر سالم، ملابس الرجال، ص ١٦٧.

[٤] الكندى، كتاب الولاة وكتاب القضاة، تحقيق رفن جست، ليدن، بريل، ١٩١٢، ص ١٢٣ أخبار سنة ١٦٥هـ.

[5] Dozy, Supplément aux dictionnaires arabes, Leide, 1881, T, II, p. 218.

[6] op.cit., p. 218.

[٧] رعد مطر مجيد، أثر عصر النهضة على التصوير الإسلامى، دراسة تاريخية تحليلية، دار النشر للجامعات، القاهرة، ٢٠١٥، ص ٢١٠.

مستدير مبطن من الداخل.

وكانت القلانس تستخدم إما وحدها[١] أو تلف عليها العمائم. وقد إستخدمها الرجال والنساء فى العصور الوسطى، وفى العصر الصفوى، وأيضاً العثمانى[٢]، وبناء على ما ورد فى ترجمة شمس الدين الفنارى التى أوردها طاشكپرى زادة، فإنها كانت توضع على الرأس مباشرة.

وقد تباينت أشكال القلانس، فمنها ما كان يغطى الرأس بإستطالة، ويخرج من أعلاه جزء مثلث، وقد يغطى طرفها بالفراء على النحو الذى ورد فى تصاوير بعض المخطوطات الصفوية[٣].

ونستشف كذلك من ترجمة طاشكپرى زادة، لمولانا شمس الدين الفنارى، إشارات هامة عن العلاقة التى سادت بين كبار شخصيات الدولة العثمانية فى هذه المرحلة المبكرة من تاريخها، والتى شابها فى كثير من الأحيان علامات الغيرة والتحاسد مثل باقى إدارات الدول الإسلامية سواء فى العصر العباسى أو الأيوبى أو المملوكى أو فى الأندلس، من ذلك، ما ورد على لسان شمس الدين نفسه، من أن أحد وزراء الدولة آنذاك وهو "عوض باشا" كان يبغض المولى شمس الدين بشدة، فلما أصيب شمس الدين بعمى، فرح الوزير عوض باشا وتمنى أن يحضر موت شمس الدين، وأن يصلى عليه، وسمعه المولى الفنارى فدعا الله، أن يشفيه، وأن يعمى الوزير عوض باشا ليصلى هو عليه، وحدث أن إستجاب الله، لدعاء

---

(١) المرجع نفسه، ص ٢١٠.

(٢) نفسه، ص ٢١٠.

وعن القلانس فى الدولة العثمانية وتطورها كغطاء للرأس إرجع إلى سحر عبد العزيز سالم، إطلالات تاريخية على مدينة برصا، ص ٢٤١، وقد ارتداها أيضاً الأخية الفتيان بالأناضول (إبن بطوطة، الرحلة، تحقيق الشيخ محمد العريان، بيروت، ١٩٨٧، حـ١، ص ٢٩٣، ٢٩٦).

(٣) نفسه، ص ٢١٠ وما يليها.

المولى شمس الدين، فشفاه، مما أصابه من عمى، ويبدو أن السلطان العثمانى بايزيد الأول آنذاك، قد غضب على وزيره عوض باشا "فكحل السلطان عين الوزير بحديدة محماة فعمى ثم مات"[١] وصلى عليه المولى الفنارى.

ومن هذا الخبر الوارد فى ترجمة المولى شيخ الإسلام شمس الدين، يتضح لنا إلى جانب، ما إستنتجناه عن شيوع روح البغض والحسد بين كبار رجال الدولة، أن إحدى وسائل العقاب والتعذيب فى الدولة العثمانية غير المميتة كانت تتمثل فى سمل عيون المغضوب عليهم، حتى لو كانوا من كبار رجال الدولة من خلال تكحيل الأعين بالحديد المحّمى.

وتنقسم العقوبات البدنية فى العصور الوسطى بوجه عام، إلى نوعين، نوع كان يستخدم بغرض التعذيب والتنكيل أو الحجر على أحد السياسيين والحيلولة بينه وبين الوصول إلى الهدف أو المنصب كسمل العينين، وقطع اليد واللسان، دون الوصول بالمُنكل به إلى حد الوفاة، وإن كان سمل العينين قد أدى إلى وفاة البعض مثل ما حدث فى حالة الإمبراطور قسطنطين السادس الذى تعرض لسمل عينيه بأمر من والدته إيرينى[٢] ونوع آخر من العقوبات البدنية كان الغرض من

---

(١) طاشكپرى زادة، الشقائق، ص ٢٠.

(٢) عن قسطنطين السادس وسمل عينيه ووفاته إرجع إلى:

Ostrogorsky, George, History of the Byzantine state, Oxford, 1956, Dominique Barbe, Irène De Byzance: la femme Empereur, Paris, 1990.

وإرجع كذلك إلى:

Cutler Anthony, Hollings Worth, Paul A, Constantine VI, The Oxford Dictionary of Byzantium, Oxford and New York, Oxford University Press 1991, p. 501-502.

إستخدامه القتل مثل الصلب[١] والشنق[٢] والتسميم والخنق وقطع الرأس والتوسيط، وحرق الأحياء[٣] وإستخدام الوتر والخازوق[٤].

---

(١) من نماذج عقوبات الصلب فى الدولة العثمانية، صلب القاضى بدر الدين إبن قاضى سماونة الذى كان قد أتى ببعض الأفكار الإلحادية فى مدينة سيروز، زمن السلطان محمد الأول (لطفى باشا، المصدر السابق، ص ١٧٠).

(٢) من أهم نماذج الشنق، فى عهد السلطان محمد الفاتح، شنق ملك أنكروس (المصدر السابق، ص ٢١٨).

(٣) من نماذج الحرق، قيام السلطان بايزيد الأول يلدريم بجمع القضاة المرتشين فى الدولة العثمانية، وأمره بإحراقهم جميعاً أحياء (نفسه، ص ١٣٩) وعن إستخدام المماليك فى مصر والشام عقوبات قطع أجزاء من الجسم وخلع الضروس والتسمير والإعدام بالسيف والتوسيط والسلخ والصلب حتى الموت إرجع إلى (عماد الدمياطى، الجرائم والعقوبات فى مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة ٧٨٤-٩٢٣هـ/١٣٨٢-١٥١٧م) رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الاسكندرية).

(٤) الخازوق: Impolement، كان أحد الأساليب المتبعة فى الإعدام فى الدولة العثمانية إلى جانب الخنق بالوتر وقطع الرأس والشنق والصلب وغيرها من الوسائل. ويرجع تاريخ استخدام الخازوق فى القتل والإعدام لأعداء الدولة والمعارضين السياسيين إلى العصور القديمة فقد إستخدمه المصريون القدماء فى الإعدام حيث كانوا يُجلسون المعاقب على عود من القصب (غزوة عادل حسين، عقوبة الإعدام وأثرها فى الحد من ظاهرة الإجرام بين الشريعة والقانون، رسالة ماجستير، كلية الحقوق، جامعة النهرين، العراق، ٢٠١٣، ص ١١) كما إستُخدم فى القتل فى العراق القديم وبلاد إيران وفارس القديمة حيث أعدم الملك الفارسى داريوس الأول ثلاثة آلاف بابلى على الخازوق بعد إحتلال مدنهم (ميشيل حنا، ٣٠ طريقة للموت – تاريخ وسائل الإعدام فى العالم، طبعة دار الكتب، ٢٠١٠، ص ٣٠ وما يليها).

وعن وسائل القتل المختلفة فى العراق القديم إلى الخازوق إرجع إلى:

Driver, G.E. and Miles, J.C, The Assyrian Laws – Ancient Codes of the near East, Oxford, 1935.

جعفر عبد الأمير الياسين وآخرون، العقوبات البدنية فى قوانين العراق القديم، دار الضياء للطباعة، النجف، ٢٠٠٩، أحلام سعد الله الطالبى، إرتكاب المحارم فى قانون حمورابى، دراسة مقارنة، مجلة التربية والتعلم، مجلد ١٧، عدد ٣، الموصل، ٢٠١٠).=

وفيما يتعلق بعقوبة سمل العينين، وسمرها، وهى التى وردت فى ترجمة المولى شمس الدين الفنارى موضوع هذا البحث، فقد كانت مجالاً لدراسة سابقة قيمة، قدمها الدكتور غيثان بن على بن جريس الأستاذ المشارك بجامعة الملك سعود بأبها، تعرض خلالها لظاهرة سمل العين فى هذه العصور ومشروعيتها وتاريخها[١]. وقد تعرض الدكتور غيثان بن على فى دراسته لأصل الكلمة فى المعاجم اللغوية، وتاريخ إستخدامها فى الإسلام، وإدراجها ضمنياً ضمن حد الحرابة. وأصّل لهذه الظاهرة تاريخياً التى إستخدمها كل من اليونان والرومان، وإنتشرت بصورة واسعة فى عصر الإمبراطورية البيزنطية وإستخدمها أيضاً المسلمون[٢]. وفيما يتعلق بهذه العقوبة عند العثمانيين، فقد أورد الدكتور غيثان

=وقد إستخدم فلاد الثالث المعروف بـ Dracula أو درة قولا فى المصادر العثمانية وهو حاكم الأفلاق بالروم إيلى العثمانى، الخازوق فى إعدام الأسرى المسلمين التابعين للدولة العثمانية، ولعله إقتبس هذا الأسلوب عن الدولة العثمانية، التى تم إحتجازه كرهينة سياسية فيها وتعلم الكثير من فنون القتال واللغة التركية خلال أسره بها. وظل إستخدام الخازوق كوسيلة لإعدام حتى العصر الحديث، حيث إستخدمه الفرنسيون فى إعدام سليمان الحلبى كما تم إستخدامه فى الحرب العالمية الثانية فى اليابان (ولمزيد من التفاصيل راجع: سحر السيد عبد العزيز سالم، الأصول التاريخية للأدب الروائى والأساطير، أحد بحوث كتاب دراسات تاريخية فى تكريم الأستاذ الدكتور أحمد ناصف، **٢٠٢٢**).

[١] غيثان بن على بن جريس، ظاهرة سمل العين فى العصور الوسطى بين التشريع والتسييس، مركز بحوث الشرق الأوسط، دراسات شرق أوسطية، جامعة عين شمس، **١٩٩٥**، ص **٣-٦، ٩-١٥**.

[٢] المرجع السابق ص **١٠** وما يليها.
وفيها أشار الدكتور غيثان بن على بن جريس إلى إستخدام ظاهرة فقأ العيون أثناء الفتوحات الإسلامية كما ورد فى بعض المصادر العربية (ص **١٠**) وتكرر إستخدامها طوال عصر الراشدين (ص **١١، ١٢**) ومن أشهر خلفاء بنى العباس الذين سُمِلت أعينهم القاهر بالله (**٣٢٠ – ٣٢٢هـ/٩٣٢-٩٣٣م**) الذى سمل القادة الأتراك عينيه وكذلك الخليفة المتقى بالله (**٣٢٩-٣٣٣هـ/٩٤٠-٩٤٤م**) الذى أمر القائد التركى توزون أمير الأمراء بهذه=

مثالاً واحداً وهو الذى يتعلق بقيام السلطان مراد الأول بسمل عينى ولده ساوجى نائب مدينة برصا الذى تمرد عليه، وأعلن الاستقلال عن الدولة(١).

ونضيف نحن إليه مثالاً آخر أورده لطفى باشا فى كتابه "تواريخ آل عثمان" يرجع إلى عصر السلطان بايزيد الثانى، عندما سمل قادة الجيش العثمانى عينى إبن "على الدولة" أحد أعداء الدولة العثمانية.

ويأتى أيضاً المثال الذى ورد فى ترجمة شمس الفنارى فى كتاب "الشقائق النعمانية" لطاشكپرى زادة، بمثابة إضافة جديدة تدل على إستخدام عقوبة سمل العينين كعقوبة بدنية غير مميتة فى الدولة العثمانية. كذلك عُرِفت هذه العقوبة فى الأندلس، ولعل أشهر مثال على ذلك قيام سيدارى بن وزير أحد حلفاء إبن قسى الثائر بغرب الأندلس على المرابطين، بسمل عينى منافسه صاحب مدينة شلب محمد بن عمر بن المنذر، الذى كان له الفضل الأعظم فى نجاح ثورة إبن قسى، وكان ساعده الأيمن قبل أن يقع فى أسر سيدارى الذى إختلف معه حول السيطرة على بعض المدن(٢).

كذلك إستنتجنا، من ترجمة طاشكپرى زادة لشيخ الإسلام المولى شمس الدين الفنارى، إتسام الحياة العلمية الفكرية، فى الدولة العثمانية وفى مدينة برصا –

=العقوبة بحقه، وكذلك كان حال الخليفة المستكفى بالله (٣٣٣-٣٣٤هـ/ ٩٤٤-٩٤٥م) (إرجع إلى السيوطى، تاريخ الخلفاء، دار ابن حزم، ٢٠٠٣، ص ٣٠٧، ٣١٣، ٣١٤، غيثان بن على إبن جريس، المرجع السابق، ص ١٢، ١٣).

(١) المرجع السابق، نفسه، ص ١٦.

(٢) لطفى باشا، المصدر السابق، ص ٢٣٥ – وعن سمل عينى محمد بن المنذر على يد سيدراى بن وزير ومصيره إرجع إلى (إبن الآبار، الحلة السيراء، تحقيق د. حسن مؤنس، الطبعة الأولى، ١٩٦٣، حـ٢، ص ٢٠٧، سحر السيد عبد العزيز سالم، تاريخ بطليوس الإسلامية أو غرب الأندلس فى العصر الإسلامى، شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٩، ص ١٧٦ وما يليها).

بروسا على وجه الخصوص، بظاهرة تواجد الأسرات العلمية، وهذا ما كنا قد تناولناه بالدراسة التفصيلية فى بحثنا عن هذه المدينة، ضمن بحوث كتاب "تغريدات تاريخية"، فأسرة الفنارى كانت إحدى أهم هذه الأسرات العلمية[١]، وقد أشار طاشكپرى زادة نقلاً عن إبن حجر العسقلانى إلى محمد شاه بن شمس الدين، الذى أكد بعض أحفاد شيخ الإسلام أن الرسالة التى أتى فيها صاحبها بمسائل من مائة فن، إنما كانت لمحمد شاه بن مولى الإسلام شمس الدين، وليست للأب شمس الدين. ولم يكن محمد شاه بن شمس الدين، وحده هو الذى قد خلفه فى مسيرة العلم، فهناك أخوه يوسف بالى بن محمد شمس الدين، أيضاً الذى درّس فى مدرسة سلطانية برصا وإستقضى بها، فى حين أن محمد شاه قد درس أيضاً فى هذه المدرسة وكان أول مدرس بها، وسار على نهجه إبنه حسن جلبى بن محمد شاه، حفيد شمس الدين محمد الفنارى، الذى إهتم بالتصوف. كذلك برز إسم علاء الدين على بن يوسف بالى حفيد شمس الدين الفنارى، وكان ممن تولوا مناصباً قضائية بالدولة، وأيضاً طالعنا إسم ولده محمد بن علاء الدين على، الذى تولى منصب قاضى قضاة العسكر بالولاية الأناضولية.

وهناك العديد من الأسرات العلمية الأخرى فى برصا – بروسا كما سبق أن أشرنا، منها أسرة طاشكپرى زادة نفسه، وأسرة إبن الجلال، وأسرة الخيالى، وأسرة قطب الدين محمد بن قاضى زادة، وأسرة إبراهيم بن الخطيب الرومى الحنفى، وأسرة البردعى، وأسرة المولى "باشا جلبى" آقد سنقر شمس الدين، وأسرة المولى محمد الشهير "بزيرك"[٢].

ومن الإشارات الحضارية الهامة التى إستنتجناها من هذه الترجمة، أيضاً ما يدل على مواعيد عطلة طلاب العلم بمدارس برصا – بروسا فى هذه المرحلة

---

[١] راجع: (سحر السيد عبد العزيز سالم، إطلالات تاريخية على مدينة برصا، ص ٣٠٤ وما يليها).

[٢] المرجع السابق، ص ٣٠٦ – وما يليها.

الزمنية المبكرة من تاريخ الدولة العثمانية، فقد كان الطلاب طبقاً لما أورده طاشكپرى زادة يعطلون يوم الجمعة ويوم الثلاثاء، وأضاف لهم المولى شمس الدين، يوم الإثنين، وعلل طاشكپرى زادة ذلك إلى أن تصانيف العلامة التفتازانى (ت ٧٩١/ ١٣٩١م)، وكانت قد إشتهرت آنذاك وكان الطلاب قد رغبوا فى قراءتها، ولم توجد تلك الكتب بالشراء لعدم إنتشار نسخها، فإحتاجوا إلى كتابتها. ولما ضاق وقتهم فقد أضاف المولى شمس الدين يوم الاثنين كعطلة إليهم، ليتيح لهم فرصة[١] نسخ كتابات التفتازانى. وفى ذلك ما يؤكد على دور طلاب العلم فى الدولة العثمانية آنذاك فى عملية النسخ وهى إحدى مراحل الوراقة التى تعادل الطباعة فى العصر الحديث.

كذلك يُشير هذا الخبر إلى إهتمام المدارس الكبرى فى الدولة العثمانية، لا سيما فى برصا – بروسا، وأدرنة وغيرها من المدن، بالإنفتاح على التيارات الثقافية المختلفة، فوفد على هذه المدارس العلمية العثمانية الكثير من العلماء، ومن أهمهم سعد الدين التفتازانى[٢] (ت ٧٩١هـ/ ١٣٩١م) مما أدى إلى تمازج التيارات الفكرية والفلسفية المتعددة وساهم ذلك فى إحداث نهضة علمية ملموسة.

---

(١) بطاشكپرى زادة، الشقائق، ص ٢٠.
وعن سعد الملة والدين أبى سعيد مسعود بن عمر بن محمد التفتازانى المولود فى قرية تفتازان من مدينة نسا بخراسان سنة ٧٢٢هـ/١٣٢٢م والمتوفى بسمرقند سنة ٧٩٢هـ/١٣٩٠م وعن شيوخه ومؤلفاته وتلاميذه والمصادر التى ترجمت له إرجع إلى مقدمة الدكتور عبد الكريم الزبيدى فى تحقيقه لكتاب إرشاد الهادى لسعد الدين التفتازانى، جدة، دار البيان العربى، ١٩٨٥.

(٢) الدولة العثمانية، تاريخ وحضارة، حـ١، ص ٢٨٤، ٣٠٩.